الفصل التاسع

تعظيم الشعائر

وقفة مع المعنى:

تعظيم شعائر الدين عمل قلبي واعتقاد ينشأ عنه عمل وتنبني عليه كثير من العبادات الظاهرة والباطنة، وهو دلالة على تقوى القلب لله وكذلك هو من سبل حصول التقوى في القلوب قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

والشعائر كما يقول السعدي: هي أعلام الدين الظاهرة[(١)]، يقول الإمام القرطبي: الشعائر جمع شعيرة وهي كل شيءٍ لله تعالى فيه أمر أشعر به وأعلم، ومنه شعار القوم في الحروب أي علامتهم التي يتعارفون بها، ومنه إشعار البدنة [الناقة] وهو الطعن في جانبها الأيمن حتى يسيل الدم فيكون علامة، فهي تسمى شعيرة بمعنى مشعورة، فشعائر الله أعلام دينه لاسيما ما يتعلق بالمناسك[(٢)].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠]، والحرمات جمع حرمة بضمتين وهو ما يجب احترامه، والاحترام اعتبار الشيء ذا حرمة كناية عن عدم الدخول فيه أي: عدم انتهاكه بمخالفة أمر الله في شأنه والحرمات كل ما أوصى الله بتعظيم أمره[(٣)]، قال الحافظ ابن كثير عليه رحمة الله: أي ومن يجتنب معاصيه ومحارمه ويكون ارتكابها عظيمًا في نفسه ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ أي: فله على ذلك خير كثير وثواب جزيل فكما على فعل الطاعات ثواب كثير وأجر جزيل كذلك على ترك المحرمات واجتناب المحظورات[(٤)].

(١) «تيسير الكريم الرحمن» ص [٦٢٥]، ط. دار ابن الجوزي.
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» للإمام القرطبي (١٢/ ٤٩)، ط. التوفيقية.
(٣) «التحرير والتنوير» لمحمد الطاهر بن عاشور (٧/ ٢٥٢)، ط. دار سحنون.
(٤) «المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير» للمباركفوري ص [٨٩٣]، ط. دار السلام.

obeikandl.com

أيها الإخوة، مما سبق يتضح أن شعائر الله تعني معالم الدين الظاهرة تلك التي يدل احترامها وتعظيمها على احترام الدين وتعظيمه، ومعنى تعظيمها إجلالها وتوقيرها بالقلب، وصيانتها وحفظها والقيام بحقوقها ومحبتها وتكميل العبودية لله فيها إجلالًا لدينه، فكل ما انتسب إلى الدين وكان علامة عليه فهو من شعائر الله وشعائر دينه.

الاقتداء بإمام الأنبياء

إن خير من عظم شعائر الله ووفاها حقها هو سيد الخلق رسول الله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمن ذلك حماية الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجناب التوحيد وسد الذرائع التي تفضي إلى الشرك فعن أبي واقد الليثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرجنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواط فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الله أكبر! إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، لتركبن سنن من كان قبلكم**»[(١)]، وكان عكوف المشركين عند تلك السدرة تبركًا بها وتعظيمًا لها قال العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: ينوطون أي يعلقون بها أسلحتهم تبركًا، يقال ذات أنواط: أي أنها تلقب بهذا اللقب لأنه تناط فيها الأسلحة وتعلق عليها رجاء بركتها، فقال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط: أي سدرة نعلق أسلحتنا عليها تبركًا بها فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الله أكبر**» كبَّر تعظيمًا لهذا الطلب أي استعظامًا له[(٢)].

وذلك ليمنع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مشابهة المشركين في تبركهم بشجرة فإن ذلك يجر إلى تعظيمها ويفضي بعد ذلك ويؤدي إلى حصول الشرك بالله ولو بعد زمان طويل،

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٢١٨)، والترمذي برقم [٢١٨٠]، وصححه الألباني في «المشكاة» برقم [٥٤٠٨].

(٢) «القول المفيد» على كتاب «التوحيد» ص [١٣٠]، ط. دار ابن الجوزي.

وذلك المشهد يبين حكمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحمايته لجناب التوحيد وشعائر الله ومن ذلك أنه صلوات الله وسلامه عليه نهى عن الإطراء في مدحه والمغالاة في حقه حيث قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله**»(١)، والإطراء هو مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه؛ لأن ذلك يجر إلى الغلو ومضاهاة النصارى الذين غالوا في عيسى وقالوا: ابن الله أو ثالث ثلاثة وكاليهود من قبلهم الذين قالوا في عزير ابن الله، وتلك هي ثمرة الغلو في الأنبياء والصالحين ولذا قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو**»(٢)، وتعظيم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما يكون بتعظيم أمره ونهيه والاهتداء بهديه واتباع سنته والدعوة إلى دينه ونصرته، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»(٣).

ومن تعظيم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لشعائر الله تعظيم الحدود والحرص على إقامتها كما في الصحيحين من حديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن قريشًا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فقالوا: من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكلمه أسامة فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أتشفع في حد من حدود الله تعالى؟**» ثم قام فاختطب ثم قال: «**إنما أهلك من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**»(٤).

---

(١) رواه البخاري برقم [٣٤٤٥].

(٢) رواه ابن ماجه [٣٠٢٩]، وأحمد (٥/ ٢٩٨)، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم [١٢٨٣].

(٣) رواه مالك في «الموطأ» ص [١٢٤]، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/ ٣٤٥)، وصححه الألباني في «تحذير الساجد» ص [٢٥].

(٤) رواه البخاري برقم [٣٤٧٥]، ومسلم برقم [١٦٨٨].

ومن تعظيم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لشعائر الله ما رواه البخاري ومسلم من حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: بعثنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الحرقة من جهينة فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلًا منهم فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله فكف عنه الأنصاري فطعنته برمحي حتى قتلته، قال: فلما قدمنا بلغ ذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال لي: «**يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟**» فقلت: يا رسول الله إنما كان متعوذًا قال: قال«**قتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟**» فما زال يكررها حتى تمنيت أن لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم(١).

ومن تعظيم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لشعائر الله تعظيمه للدماء والذبائح التي تذبح لله جَلَّ جَلَالُهُ وقد ذبح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مائة جمل في حجته التي حجها كما رواه مسلم من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: فكان جماعة الهدي الذي قدم به عليٌّ من اليمن والذي أتى به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مائة وفيه: ثم انصرف إلى المنحر فنحر ثلاثًا وستين بيده ثم أعطى عليًا فنحر ما غبر وأشركه في هديه ثم أمر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر فطبخت فأكلا من لحمها وشربا من مرقها(٢).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: فيه استحباب تكثير الهدي، وكان هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تلك السنة مائة بدنة، وفيه استحباب ذبح هديه بنفسه، وفيه استحباب تعجيل ذبح الهدايا وإن كانت كثيرة في يوم النحر ولا يؤخر بعضها إلى أيام التشريق(٣).

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ضحى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده وسمَّى وكبَّر ووضع رجله على صفاحه(٤).

---

(١) رواه البخاري برقم [٦٨٧٢]، ومسلم برقم [٩٦].
(٢) رواه مسلم برقم [١٢١٨]، وأبو داود برقم [١٩٠٥]، وابن ماجه برقم [١٣٠٧٤].
(٣) «شرح النووي على صحيح مسلم» (٤/ ٤٥٠)، ط. دار الحديث.
(٤) رواه البخاري برقم [٥٥٥٨]، ومسلم برقم [١٩٦٦].

obeikandl.com

ومن ذلك تعظيمه لحرم الله وبلده الآمن ففي صحيح البخاري من حديث عروة ابن الزبير عن أبيه أن سعد بن عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مريوم فتح مكة بأبي سفيان وكان سعد يحمل لواء الأنصار فقال: يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة وفيه: فلما مر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأبي سفيان قال: ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة؟ قال: «**ما قال؟**» قال: كذا وكذا، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**كذب سعد**[(١)]، **ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة، ويوم تكسى فيه الكعبة**»[(٢)].

أمثلة من تعظيم الشعائر

أولًا - تعظيم أسماء الله وصفاته:

وأولى ما عظمت به أسماء الله وصفاته أن نفهمها على مراد الله ورسوله فلا نحرف معانيها إلى معانٍ أخرى من غير حجة أوبرهان وألا ننفيها ونعطلها أو نمثلها بصفات المخلوقين فالله جَلَّ جَلَالُهُ قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وذروة تعظيمنا لحرمات الله تعالى إجراء لخبر على ظاهره وهو أن تبقى أعلام التوحيد الخبرية على ظواهرها لا نتكلف لها تأويلًا ولا نتجاوز ظواهرها تمثيلًا، فحفظ حرمة نصوص الأسماء والصفات بإجراء أخبارها على ظواهرها كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ وقد سئل عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، كيف استوى؟ فأطرق مالك حتى علاه الرحضاء ثم قال: الاستواء معلوم، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، ففرق بين المعنى المعلوم من هذه اللفظة وبين الكيف الذي لا يعقله البشر وهذا الجواب من مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شاف عام في جميع مسائل الصفات فمن سأل عن قوله: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، كيف يسمع ويرى؟ أجيب بهذا الجواب بعينه فقيل له: السمع والبصر معلوم والكيف غير

---

(١) أي أخطأ فيما قال.

(٢) رواه البخاري برقم [٤٢٨٠]

معقول وكذلك من سأل عن العلم والحياة والقدرة والإرادة والنزول والغضب والرضا والرحمة والضحك وغير ذلك فمعانيها كلها مفهومة وأما كيفيتها فغير معقولة؛ إذ تعقل الكيفية فرع العلم بكيفية الذات وكنهها، فإذا كان ذلك غير معقول للبشر فكيف يعقل لهم كيفية الصفات؟! والعصمة النافعة في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل تثبت له الأسماء والصفات وتنفي عنه مشابهة المخلوقات فيكون إثباتك منزهًا عن التشبيه ونفيك منزهًا عن التعطيل فمن نفى حقيقة الاستواء فهو معطل، ومن شبهه باستواء المخلوق على المخلوق فهو ممثل، ومن قال: استواء ليس كمثله شيء فهو الموحِّد المنزه، وهكذا الكلام في السمع والبصر والحياة والإرادة والقدرة واليد والوجه والرضا والغضب والنزول والضحك وسائر ما وصف الله به نفسه[1].

إننا نجد في هذه الأيام من يحرف معاني أسماء الله وصفاته فنجد من يقول: ينزل ربنا إلى سماء الدنيا في ثلث الليل كل ليلة: أي تنزل رحمته أو ينزل ملك بأمره وهذا كلام باطل وضلال وتجد آخر يقول: ليس لله يد وإنما المراد بها في القرآن قدرة الله أو نعمة الله أقول: وهذا تحريف وتعطيل وكذب على الله ورسوله أما من نفى نزول الله جَلَّجَلَالُهُ إلى سماء الدنيا كل ليلة نقول له: هل كان النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عاجزًا عن أن يقول تنزل رحمة الله أو ملك بأمر الله؟! وهل رحمة الله لا تنزل إلا في ثلث الليل الآخر؟! وهل يسوغ أن ينزل ملك من السماء ويقول: من يدعوني فأستجيب له؟! ولماذا حرفنا اللفظ عن ظاهره الذي أخبر به رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؟! لماذا لا نقول: ينزل كما أخبر رسوله ونفهم معنى النزول لكن لا يلزم من ذلك أن يخلو منه عرشه وكيفية النزول لا نعلمها؛ لأن الله لم يخبرنا بها ولا رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ماذا علينا لو قلنا ذلك الكلام المنضبط، البعيد عن القول على الله بغير علم والافتراء والكذب على شرع الله ودينه؟ وهذا الذي يقول ليس لله يد

(١) «تهذيب مدارج السالكين» ص [٣١٩]، ط. المكتبة القيمة.

وإنما المراد القدرة والنعمة نقول له الله تعالى يقول: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، هل المراد بهما هنا نعمتاه أو قدرتاه؟! وهل نعم الله تعد أو تحصى؟! والله تعالى يقول ممتنًا على آدم بأنه سبحانه خلقه بيده قال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، هل اليدان هنا بمعنى النعمتين أو القدرتين؟! أوليس كل الخلق خلقوا بنعمة الله وقدرته؟! فما فضيلة آدم على غيره إذا نفينا هذا المعنى؟! لماذا لا نقول إن لله عَزَّوَجَلَّ يدين حقيقيتين وكلتاهما يمين كما أخبر رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لكننا لا ندري كيفيتهما وكل ما دار ببالك فالله بخلاف ذلك ولا يعلم كيفية صفات الله إلا الله جَلَّجَلَالُهُ.

ومن تعظيم أسماء الله وصفاته سبحانه ألا نحلف إلا بالله وإذا حلفنا بالله أن نصدق وأن نعظم الحلف بأسماء الله فلا نكثر منه وأن نؤدي كفارة اليمين إذا لم نحقق ما حلفنا عليه ففي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**من اقتطع مال امرئ مسلم بيمين كاذبة لقى الله وهو عليه غضبان**» قال عبد الله ثم قرأ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من كتاب الله جل ذكره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧٧][(١)]، والحلف لا يكون إلا بالله جَلَّجَلَالُهُ ففي الصحيحين عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن حلف فليحلف بالله أو ليصمت**»[(٢)]، وفي سنن الترمذي بسند صحيح عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري برقم [٧٤٤٥]، ومسلم برقم [١٣٨].

(٢) رواه البخاري برقم [٦٦٤٦].

(٣) رواه الترمذي برقم [١٥٣٥]، وصححه الألباني في «الإرواء» برقم [٢٥٦٢].

ولذلك قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إليَّ من أن أحلف بغيره صادقًا(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في شرح كلام ابن مسعود هذا: لأن حسنة التوحيد أعظم من حسنة الصدق، وسيئة الكذب أسهل من سيئة الشرك.

ومن تعظيم الأنبياء لاسم الله عَزَّوَجَلَّ في الحلف ماروا البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن عيسى ابن مريم صلوات الله وسلامه عليه رأى رجلًا يسرق فقال: أسرقت؟ فقال: لا والله الذي لا إله إلا هو فقال: آمنت بالله وكذبتُ عيني(٢)، قال الحافظ ابن كثير تعقيبًا على هذا الحديث: وهذا يدل على سجية طاهرة حيث قدم حلف ذلك الرجل فظن أن أحدًا لا يحلف بعظمة الله كاذبًا على ما شاهده منه عيانًا فقبل عذره ورجع على نفسه فقال: آمنت بالله أي صدقتك وكذبت بصري لأجل حلفك(٣).

ثانيًا- تعظيم أنبياء الله ورسله:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٨-٩]، ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ أي تعزروا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتوقروه أي: تعظموه وتجلُّوه وتقوموا بحقوقه كما كانت له المنة العظيمة برقابكم ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ أي: تسبحوا الله ﴿بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ أول النهار وآخره فذكر الله في هذه الآية الحق المشترك بين الله وبين رسوله وهو الإيمان بهما والمختص بالرسول وهو التعزير والتوقير، والمختص بالله وهو التسبيح له والتقديس بصلاة أو غيرها(٤).

---

(١) «صحيح الترغيب والترهيب» برقم [٢٩٥٣].

(٢) رواه البخاري برقم [٣٤٤٤]، ومسلم برقم [٢٣٦٨].

(٣) «قصص الأنبياء» ص [٦١٥]، ط. التوفيقية.

(٤) «تفسير السعدي» ص [٩٤٢].

الرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم أذكى الخلق عقولًا وأزكى وأطهر الخلق نفوسًا وقد اختارهم الله تعالى واصطفاهم ليكونوا قدوة للناس وليبشروهم وينذروهم ويقيموا حجة الله عليهم قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النِّسَاء: ١٦٥]، ومن كفر برسول واحدٍ منهم فقد كفر بهم جميعًا بل وكفر برب العالمين جَلَّ جَلَالُهُ قال الله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البَقَرَة: ١٣٦]، وقال تعالى: ﴿ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٥]، ومعلوم أن قوم نوح لم يكذبوا إلا نوحًا وحده لأنه كان أول الرسل إلى أهل الأرض بعد نبي الله آدم صلوات الله وسلامه عليهما ومع ذلك فقد وصفهم الله عَزَّوَجَلَّ بأنهم كذبوا الرسل جميعًا فدل هذا على أن من كذب واحدًا منهم فقد كذبهم جميعًا قال الله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشُّعَرَاء: ١٠٥]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشُّعَرَاء: ١٢٣]، وقال جل وعلا: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشُّعَرَاء: ١٤١]، وهكذا يكون من كذب نبيًا قد كذب بهم جميعًا، ومن تعظيمنا لأنبياء الله ورسله أن نحبهم ونواليهم وأن نقتدي بهم ولا نغالي فيهم، فهم بشر من البشر لكنهم أكمل البشر قال الله تعالى: ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [إِبْرَاهِيم: ١١]، وليس هناك أحدٌ قط لا ولي ولا غيره يبلغ مرتبة النبوة فضلًا عن أن يكون أفضل من الأنبياء كما تزعم الشيعة الإمامية فيقولون: إن من ضرورات مذهبنا أن لأئمتنا مقامًا لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل، وكما يزعم غلاة الصوفية في الأولياء وكل هذه أقوال مردودة مرفوضة؛ لأن الرسل والأنبياء هم أفضل البشر حيث اصطفاهم الله واجتباهم من بين سائر الناس كما قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ [النَّمْل: ٥٩].

ومن تعظيمنا للأنبياء أن نعتقد أنهم أعظم الخلق صدقًا وأمانة وفهمًا وشجاعة وهم جميعًا من الرجال ومن البشر فليس هناك من الجن أنبياء ولا من النساء قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡ ﴾ [الأنبياء: ٧]، وكذلك قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓ ﴾ [يوسف: ١٠٩]، وهذه الآية الأخيرة تدل على أن الله تعالى اصطفاهم من أهل المدن والقرى العظيمة كما قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المراد بالقرى المدن لا أنهم من أهل البوادي الذين هم من أجفى الناس طباعًا وأخلاقًا[(١)].

ومن تعظيمنا وتوقيرنا للأنبياء ألا نرفعهم فوق المنزلة التي جعلها الله لهم فهم لا يعلمون الغيب قال تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [النمل: ٦٥]، وقال تعالى عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: ﴿ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، ولكن قد يُعلم الله رسوله شيئًا من الغيب ليكون ذلك معجزة له وتأييدًا ونصرة على قومه.

ويمتاز الأنبياء عن سائر الناس بأمور منها:

أن الأنبياء أحياء في قبورهم لكنها حياة برزخية لا يعلم حقيقتها إلا الله فعن أنس ابن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «**الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون**»[(٢)].

وإذا مات نبي من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه فإنه يدفن حيث يموت قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**لم يقبر نبي إلا حيث يموت**»[(٣)].

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» للحافظ ابن كثير (٤/ ٢٩٤)، ط. التوفيقية.

(٢) رواه أبو يعلى [٣٤٢٥]، والبزار برقم [٦٨٨٨]، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم [٦٢١].

(٣) «مصنف عبد الرزاق» (٣/ ٥١٦) برقم [٦٥٣٤]، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٥٢٠١].

obeikandl.com

وأجساد الأنبياء لا تأكلها الأرض قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وإن الله حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»(١).

والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم كما في صحيح البخاري عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال في حديث الإسراء: «**النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نائمة عيناه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم**»(٢). والأنبياء يخيرون عند الموت كما في الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة**»(٣)، ولهذا قال النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مرض موته: «**مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين**» قالت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فعلمتُ أنه خُيِّر.

ومن تعظيمنا وتوقيرنا لجميع أنبياء الله ورسله اعتقادنا أنهم صلوات الله وسلامه عليهم معصومون في تحمل الرسالة، وفي تبليغها قال الله عَزَّوَجَلَّ لرسوله: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعلى: ٦-٧].

وفي هذا الصدد يجدر بنا أن نشير إلى تعظيم وتوقير سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنها مع القرآن أصل الدين وأساسه فما الإسلام إلا قرآن وسنة قال الله تعالى عن رسوله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]، وقال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [النساء: ٥٩]، فإذا وقع الاختلاف بين الناس في أمر من الأمور فلا بد أن يكون المرد في ذلك والمرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ إن السنة وحي كالقرآن وقد قال ربنا جل وعلا

---

(١) رواه أبو داود [١٠٤٦]، والنسائي برقم [١٣٧٤]، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم [١٥٢٧].
(٢) رواه البخاري برقم [٧٥١٧].
(٣) رواه البخاري برقم [٤٥٨٦].

obeikandl.com

لنساء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤]، والحكمة في الآية هي السنة، وتعريف السنة هي كل ما ورد عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قول أو فعل أو تقرير أو وصف.

والواجب على كل من أحب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآمن به نبيًا ورسولًا أن يحب سنته وأن يوقرها وأن يحترمها ويجلها، وكذلك عليه أن يهتدي بها في حياته ويقتدي برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عباداته ومعاملاته وأخلاقه لاسيما ونحن في زمن الغربة الثاني ذلكم الزمان الذي تتعرض فيه سنة النبي صلوات الله وسلامه عليه لحرب ضروس من أجل تنفير الناس وصدهم عن الاهتداء بها وكثيرًا ما نسمع عن سخرية واستهزاء بمظاهر السنة، كثيرًا ما نسمع عن ذوي عقول مريضة لا تستسيغ عقولهم المظلمة الاستجابة لهدي الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظاهرًا وباطنًا وحالهم كحال من رفض الدخول في الإسلام استكبارًا عن هيئة السجود حالهم كحال من عاش في الظلام فألفه فإذا رأى النور تأذى برؤياه وسارع بالعودة إلى ظلامه.

إن تعظيم السنة يكون أول ما يكون بجعلها منهج حياة يعيش بها المسلم في كل موطن لينال بذلك قربًا من الله وحبًا من الله له قال جل وعلا: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**» قيل: ومن يأبى؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**»[(١)]، اللهم ارزقنا حسن الأدب مع السنة، وأحينا على كتاب ربنا وسنة نبينا حتى نلقاك يارب.

---

(١) رواه البخاري برقم [٧٢٨٠].

ثالثًا- تعظيم القرآن:

القرآن كلام الله وحق لكلام العظيم أن يكون عظيمًا وكان من حكمة الله ورحمته أن أنزل هذا القرآن العظيم على النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم لكي يكون سبيلًا لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وليكون هاديًا لهم إلى صراط الله المستقيم متبرًا للجهل والشرك الذي جثم على الصدور وأعمى البصائر والأبصار قال ربنا: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١]، ومن براهين التقوى وأدلتها في القلوب تعظيم القرآن وإجلاله واحترامه وتوقيره، وذلك يعني حب القرآن والشغف بتلاوته والحرص على ترتيله آناء الليل وأطراف النهار وذلك ليزداد الإيمان وترق القلوب وتزكو النفوس وتطيب الأخلاق فهو أعظم سبيل لإصلاح النفس وتهذيبها: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣]، والموفق السعيد من هدي إلى الاستسلام لحكم الله والامتثال لشرعه ودينه والاستجابة لكتابه الكريم، ومن دلائل تعظيم القرآن مداومة التلاوة والتدبر وحسن الإنصات والاستماع والقيام به في الليل بين يدي الله، والترنم به كل حين، ومن تعظيم القرآن تلاوته على طهارة وحضور القلب والخشوع، ومعايشة المعاني: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

ومن توقير القرآن تعاهده وعدم هجره وتعريضه للنسيان قال رسول الله ﷺ: «**تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتًا من الإبل في عقلها**»[(١)].

(١) رواه البخاري برقم [٥٠٣٣]، ومسلم برقم [٧٩١].

وتعاهده يقتضي المداومة على تلاوته والمواظبة على قراءته ومراجعته، ومن تعظيم القرآن توقير المصحف ووضعه في مكان لائق عالٍ وأن لا يوضع فوقه شيء وعدم تعريضه للامتهان بأي صورة من الصور، قال الإمام النووي عليه رحمة الله: أجمع المسلمون على وجوب تعظيم القرآن العزيز على الإطلاق وتنزيهه وصيانته وقال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من استخف بالقرآن أو بالمصحف أو بشيءٍ منه فهو كافرٌ بإجماع المسلمين[١]، وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يكره توسد المصحف، قال القاضي أبو يعلى تعقيبًا على ذلك: إنما كره ذلك لأن فيه ابتذالًا له ونقصانًا من حرمته فإنه يفعل به كما يفعل بالمتاع واختار ابن حمدان التحريم وقطع به، وكذا سائر كتب العلم إن كان فيها قرآن وإلا كره فقط ويقرب من ذلك مد الرجلين إلى شيء من ذلك، وقال الحنفية: يكره لما فيه من أسماء الله تعالى وإساءة الأدب[٢].

رابعًا- تعظيم العبادات وإتقانها:

ثمرة المؤمن من دنياه إيمانه بالله وعبادته له وطاعته إياه، ومن تعظيم تلك العبادات التي أمر الله بها عباده وذلك يكون بإتقانها، والإخلاص في أدائها والقيام بها، والمحافظة على شروطها وآدابها، والحرص على فعل ما يكون سبيلًا لقبولها وأصول العبادات الظاهرة أربع وهي الصلاة والزكاة والصيام والحج.

ويتفرع عنها النوافل والسنن، وسوف أتحدث عن عبادة واحدة من هذه العبادات إيثارًا للاختصار إذ إن المقام ليس مقام تفصيل والعبادة التي أوثر الحديث عنها الآن هي أكثر العبادات تكررًا وأعظم الطاعات أثرًا في النفس والقلب وهي أول ما يحاسب عليه العبد بين يدي ربه يوم القيامة ألا وهي الصلاة.

---

(١) «الآداب الشرعية» (٢/ ٢٨٥-٢٨٦).

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة.

والصلاة إخوتاه هي رأس القربات ودرة الطاعات وأسمى العبادات، وألذ وأهنأ ما تكون الحياة حينما يقف المؤمن في الصلاة خاشعًا متضرعًا بين يدي مولاه، يذل وينكسر لربه ويكثر من التضرع والمناجاة فيزداد حبًا وقربًا من الله جَلَّجَلَالُهُ فيالأنس المقربين، ويالحسرة المطرودين!! قال الله تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العَلَق: ١٩].

ومن تعظيم الصلاة استشعار العبد وقوفه بين يدي ربه وحضور القلب وعدم التفاته وانشغاله وتحقيق الخشوع فيها وقد جعل الله هذا الوصف الكريم أول أوصاف المؤمنين التي استحقوا بها الفلاح فقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢]، هذا الخشوع يشمل سكون الجوارح وعدم الالتفات وعدم النظر إلى السماء وحضور القلب وانفعاله وتأثره بالأذكار والقراءة فيها والحرص على أن يقتدي في كل أعمال الصلاة برسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حيث أمرنا وأوصانا بذلك فقال: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»(١).

ومن توقير الصلاة المحافظة عليها في وقتها والتبكير في الخروج إليها قال الله تعالى: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٣٨]، وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سألت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: أي الأعمال أفضل قال: «**الصلاة على وقتها**» قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «**بر الوالدين**» قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**»(٢).

ومن توقير الصلاة وتعظيمها أن تصلي في جماعة وهذا أمرٌ عظيم لابد من مراعاته والمحافظة عليه ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: أتى النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ رجلٌ أعمى فقال: يارسول الله ليس لي قائدٌ يقودني إلى المسجد فسأل

(١) رواه البخاري برقم [٦٠٠٨].

(٢) رواه البخاري برقم [٧٥٣٤]، ومسلم برقم [٨٥].

رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يرخص له فيصلي في بيته فرخص له فلما ولَّى دعاه فقال له: «**هل تسمع النداء بالصلاة؟**» قال: نعم، قال: «**فأجب**»[(١)].

وفيه من حديث ابن مسعود أنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: من سره أن يلقى الله غدًا مسلمًا، فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى، وإنهم من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف[(٢)]، ومن توقير الصلاة وتعظيمها الإتيان إليها على طهارة وتهيئة النفس لها وعدم العجلة وسرعة المشي في المجيء إليها حتى يكون ذلك أدعى للطمأنينة فيها وليستحضر وهو قادم إلى الصلاة معنى هذا الحديث قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**من غدا إلى المسجد أوراح أعد الله له في الجنة نزلًا كلما غدا أو راح**»[(٣)]، وكذلك هذا الحديث العظيم قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**من تطهر في بيته، ثم مضى إلى بيت من بيوت الله، ليقضي فريضة من فرائض الله؛ كانت خطواته إحداها تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة**»[(٤)].

ومن تعظيم الصلاة الحرص على الأذكار وهي أذكار مشهورة معلومة، وليكن في القلب شوق إليها وتعلق بها وليكثر من النوافل المستحبة قبلها أو بعدها فإن النوافل تكون مكملة للنقص الحاصل في الفريضة وزيادة ورفعة للدرجات في الجنة وسبيل لحب الرب لعبده.

---

(١) رواه مسلم برقم [٦٥٣].

(٢) رواه مسلم برقم [٦٥٤].

(٣) رواه البخاري برقم [٦٦٢]، ومسلم برقم [٦٦٩].

(٤) رواه مسلم برقم [٦٦٦].

قبس من القدوة

كان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إذا فاتته العشاء في جماعة أحيا بقية ليلته.

وعن عثمان بن حكيم قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: ما أذن المؤذن من ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد.

قال الذهبي: إسناده ثابت.

ولله دره أي سعيد بن المسيب حين يقول: ما دخل وقت صلاة إلا وقد أخذتُ أهبتها، ولا دخل عليَّ قضاء فرض إلا وأنا مشتاق إليه.

والربيع بن خثيم كان يقول: إني لآنس بصوت عصفور المسجد عن أنسي بزوجتي.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ بعدما سقط شقه يهادى بين رجلين إلى المسجد وكان أصحاب عبد الله بن مسعود يقولون: يا أبا يزيد لقد رخص الله لك لو صليت في بيتك؟ فيقول: إنه كما تقولون ولكني سمعته ينادي: حي على الفلاح، فمن سمع منكم حي على الفلاح فليجبه ولو زحفًا ولو حبوًا.

وهذا عامر بن عبد الله بن الزبير قال عنه مصعب: سمع عامرٌ المؤذن وهو يجود بنفسه فقال: خذوا بيدي فقيل إنك عليل قال: أسمع داعي الله فلا أجيبه! فأخذوا بيده فدخل مع الإمام في المغرب فركع ركعة ثم مات.

وهذا شيخ الإسلام حماد بن سلمة قال عنه يونس بن محمد المؤدب: مات حماد بن سلمة في الصلاة في المسجد.

obeikandl.com

خامساً- توقير العلماء واحترامهم:

العلماء هم قلوب الأمة وعقولها، وضميرها الحي، وروحها الزكية التي تملأ جسد الأمة بنضارة الإيمان والهداية، وترفع عنها الجهالة والغواية، وإنما الأمة بالعلماء إذا ذهبوا ذهب قدرها وزالت هيبتها، وإن نهضة الأمة ويقظتها لا يمكن أن تكون إلا من قبل العلماء الربانيين الذين ينيرون البصائر والعقول بنور القرآن وسنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإن احترامهم وتوقيرهم احترام للدين وتعظيم لشعائره وهم أحق الخلق بولاية الله لهم قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يُونُس: ٦٢-٦٣]، قال الشافعي: إن لم يكن العلماء هم أولياء الله فليس لله ولي.

قال الحسن البصري: الدنيا كلها ظلمة إلا مجالس العلماء.

قال طاووس بن كيسان: إن من السنة أن توقِّر العالم.

ولهذا رأينا الموفقين الفاهمين يوقرون العلماء ويبجلونهم وليكن لنا في ذلك أسوة وقدوة.

عن الشعبي قال: صلى زيد بن ثابت على جنازة ثم قربت له بغلة ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال له زيد: خلِّ عنك يا ابن عم رسول الله، فقال ابن عباس: هكذا يفعل بالعلماء والكبراء.

وعن الليث قال: كان سعيد بن المسيب يركع ركعتين ثم يجلس فيجتمع إليه أبناء أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المهاجرين والأنصار فلا يجترئ أحد منهم أن يسأله عن شيء إلا أن يبدئهم بحديث أو يجيئه سائل فيسأل فيسمعون.

وعن محمد بن سيرين قال: رأيت عبد الرحمن بن أبي ليلى وأصحابه يعظمونه ويسوِّدونه ويشرِّفونه مثل الأمير.

وقال الأعمش رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كنا نهاب إبراهيم كما يهاب الأمير.

قال أحمد بن سنان: كان عبد الرحمن بن مهدي لا يتحدث في مجلسه ولا يبرى قلم ولا يقوم أحدٌ كأنما على رؤوسهم الطير كأنهم في صلاة.

وعن الربيع بن سليمان قال: والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إليَّ هيبة له.

وقال عبدوس: رآني أبو عبد الله يومًا وأنا أضحك فأنا أستحييه إلى اليوم.

وقال أحمد بن إسحاق الفقيه: ما رأيت في المحدثين أهيب من إبراهيم بن أبي طالب كنا نجلس كأن على رؤوسنا الطير، لقد عطس أبو زكريا العنبري فأخفى عطاسه فقلت له سِرَّاً: لا تخف فلست بين يدي الله.

وعن أبي عبد الله يحيى بن عبد الملك الموصلي قال: رأيت مالك بن أنس غير مرة وكان بأصحابه من الإعظام له والتوقير له.. وإذا رفع أحد صوته صاحوا به.

وعن مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: وجَّه إليَّ هارون الرشيد يسألني أن أحدثه فقلت: يا أمير المؤمنين إن العلم يؤتى ولا يأتي قال: فصار إلى منزلي فاستند معي إلى الجدار فقلت: يا أمير المؤمنين؛ إن من إجلال الله تعالى إجلال ذي الشيبة المسلم قال: فجلس بين يديَّ.

وقال إبراهيم بن الأشعث: رأيت سفيان بن عينية يقبل يد الفضيل مرتين.

وعن جعفر الطستي أنه سمع أبا مسلم الكجي يقول وذكر عنده صالح جزرة فقال: ما أهونه عليكم ألا تقولوا سيد المسلمين.

obeikandl.com

ومن طريف ما يذكر عن أهل الفضل من العلماء الأجلاء الذين أرادوا حفظ هذه الحشمة والهيبة لأهل العلم في نفوس الناس أن الإمام أبا جعفر محمد بن جرير الطبري وردت إليه فتوى من السلطان ولكن لم يكتب فيها الدعاء للشيخ فكتب الجواب في أسفلها يجوز أو كتب لا يجوز ولم يزد على ذلك فلما عادت الرقعة إلى السلطان وقرأها علم أن ذلك كان من أبي جعفر للتقصير في الخطاب الذي خوطب به فاعتذر السلطان إليه.

وعن جعفر بن أبي عثمان قال: كنا عند يحيى بن معين فجاءه رجل مستعجل فقال: يا أبا زكريا، حدثني بشيءٍ أذكرك به، فقال يحيى: اذكرني أنك سألتني أن أحدثك فلم أفعل.

وعن حمدان بن الأصبهاني قال: كنت عند شريك فأتاه بعض ولد المهدي فاستند فسأله عن حديث فلم يلتفت إليه وأقبل علينا ثم أعاد فعاد بمثل ذلك فقال: كأنك تستخف بأولاد الخليفة؟ قال: لا ولكن العلم أزين عند أهله من أن تضيعوه، قال: فجثا على ركبتيه ثم سأله فقال شريك: هكذا يطلب العلم.

أيها الإخوة، إن توقير العلماء دليل على تقوى القلب لله، وتعظيمه لشعائر دينه، وما أسوأ أن يتطاول السفهاء وأحداث الأحلام على العلماء!! والله ما أخبثها من طريقة تفضي إلى هدم الدين وتحطيم رموزه!! بئس الخلق خلق من يجرح في العلماء ويتهمهم في نواياهم ومعتقداتهم ثم يظن أنه بمعزل من الزلل وأنه فوق النقد والعيب ولو فتش في حال نفسه لوجد فيها الخبث والخطأ والخلل إن هذا نذير شؤم وبادرة سوء حين ينصرف طلبة العلم المبتدئون إلى التجريح من أجل التجريح ثم يكونون أداة هدم لدينهم ودعوتهم وفي الوقت ذاته لا تجد عندهم هذه الشدة على أهل الكفر والبدع ألا فليعلم كل من سوَّلت له نفسه أن يتكلم في العلماء لينتقص من قدرهم وليصد الناس عنهم ليعلم

أنه على خطر عظيم ويخشى عليه سوء الخاتمة والعياذ بالله، قال الإمام أحمد: لحوم العلماء مسمومة من شمها مرض ومن أكلها مات[١].

وقال الحافظ ابن عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من أطلق لسانه في العلماء بالثلب ابتلاه الله تعالى قبل موته بموت القلب.

إن علماءنا هم سادتنا وأصحاب الفضل بعد الله ورسوله علينا، وقد اصطفاهم الله ليكونوا هداة الخلق وناصري الدين والحق يستحقون منا الاحترام والتقدير والتوقير والدعاء وخدمة من نستطيع أن نخدمه منهم ونحن لا نغالي فيهم ولا نحكم لهم بالعصمة، ولله در الحافظ ابن رجب الحنبلي حين يقول: والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه.

ويقول ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا غلبت محاسن الرجل على مساوئه لم تذكر المساوئ، وإذا غلبت المساوئ على المحاسن لم تذكر المحاسن.

ويقول الإمام سعيد بن المسيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليس من عالم ولا شريف ولا ذي فضل إلا وفيه عيب ولكن من كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله.

أيها الأحبة، لايعيب أهل العلم إلا معيب، ولا يبحث عن زلات العلماء إلا مخذول جاهل، ولا يتتبع عوراتهم إلا مريض القلب خبيث النية: فلنعرف لأهل الفضل فضلهم ولنحفظ لأهل العلم مكانهم ومكانتهم، فهم أولى الناس بحسن الظن والاحترام والتوقير.

---

(١) ومن الجدير بالإشارة إليه في هذه المناسبة تلك المباهلة التي تمت بين محمد بن عبد الرحمن الكوس والشيعي ياسر الخبيث وصلت إليَّ الأنباء من أكثر من مصدر موثوق أثناء مراجعة هذا الكتاب بأن هذا الشيعي المحترق قد أهلكه الله جل جلاله ولقى حتفه بعد تلك المباهلة بأشهر انتقامًا من الله لعرض المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

obeikandi.com

سادسًا- توقير المساجد:

قال الله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ [النور: ٣٦-٣٧]، ومن أهم الأمور التي سارع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليها حين هاجر إلى المدينة هي بناء المسجد لإقامة الشعائر التي طالما حوربت في مكة، ولكي تقام فيه الصلوات التي تربط المرء برب العالمين، وتنقي قلبه من الأدران، وأكدار الحياة الدنيا ولكي يتولى فيه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تربية الصحابة على هديه الكريم وتعليمهم أحكام هذا الدين العظيم يقول الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ وعفا عنه: إن مكانة المسجد في المجتمع الإسلامي تجعله مصدر التوجيه الروحي والمادي، فهو ساحة للعبادة، ومدرسة للعلم، وندوة للأدب، وقد ارتبطت بفريضة الصلاة وصفوفها أخلاق وتقاليد هي لباب الإسلام، لكن الناس لما أعياهم بناء النفوس على الأخلاق الجليلة استعاضوا عن ذلك ببناء المساجد السامقة التي تضم مصلين أقزامًا! أما الأسلاف الكبار فقد انصرفوا عن زخرفة المساجد وتشييدها إلى تزكية أنفسهم وتقويمها[1].

وتوقير المساجد كشعيرة من شعائر الله يكون بعمارتها بذكر الله والصلاة وتلاوة القرآن وتدريس العلوم النافعة قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨]، وأشد الناس ظلمًا وأجدر الناس بالخزي في الدنيا والآخرة من سعى في تخريب المساجد وتعطيل مهمتها التي وضعت لها، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ۚ أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٤].

---

(١) «فقه السيرة» ص [١٨٩]، ط. دار الريان.

ومن توقير المساجد تنظيفها وتطييبها وتهيئتها للعبادة، قال الله تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥]، ولهذا نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن البصاق في المسجد ففي الصحيحين من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**البصاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها**»(١)، وفيهما من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**رأى في جدار القبلة مخاطًا أو بُزاقًا أو نخامة فحكَّه**»(٢)، وفي حديث الأعرابي الذي بال في المسجد وهمَّ به الصحابة ليقعوا فيه أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول والقذر، إنما هي لذكر الله تعالى وقراءة القرآن**»(٣).

ومن توقير المساجد عدم الصخب ورفع الأصوات فيها وعدم نشدان الضالة فيها ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من سمع رجلًا ينشد ضالة في المسجد فليقل: لا ردها الله عليك؛ فإن المساجد لم تبن لهذا**»(٤).

ومن توقيرها عدم البيع والشراء فيها لأنها سوق الآخرة ولا يصلح أن يكون فيها إلا ذكر الله وما يقرب إليه ويزهد في الدنيا ويرغب في الآخرة روى الترمذي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا: لا أربح الله تجارتك، وإذا رأيتم من ينشد ضالة فقولوا: لا ردها الله عليك**»(٥).

---

(١) رواه البخاري برقم [٤١٥]، ومسلم برقم [٥٥٢].

(٢) رواه البخاري برقم [٤٠٧]، ومسلم برقم [٥٤٩].

(٣) رواه مسلم برقم [٢٨٥].

(٤) رواه مسلم برقم [٥٦٨].

(٥) رواه مسلم برقم [٥٦٨]، وللأمانة فقد أجاز الشافعي وأحمد البيع في المسجد مع الكراهة وقال ابن بطال أجمع العلماء على أن ما عقد بيعه في المسجد لا يجوز نقضه كذا قال في «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٤/ ٢٧).

obeikandl.com

ومن توقير المساجد المجيء إليها في أكمل هيئة وأجملها فيأتي المرء إلى بيوت الله بملابسه النظيفة ويتطيب برائحة زاكية ثم يمشي بسكينة ووقار وأن يحترس من أكل الثوم والبصل وما يشابه ذلك؛ فعن سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من الطهر، ويدهن من دهنه أو يمس من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له، ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى**»(١).

وعن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما نحن نصلي مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ سمع جلبة رجال فلما صلى قال: «**ما شأنكم؟**» قالوا: استعجلنا إلى الصلاة قال: «**فلا تفعلوا إذا أتيتم الصلاة؛ فعليكم بالسكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا**»(٢)، وفي الصحيحين عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من أكل ثومًا أو بصلًا فليعتزلنا أو فليعتزل مسجدنا**»(٣)، ومن توقير المساجد صلاة ركعتين قبل أن يجلس المرء فيها كما في الصحيحين من حديث أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين**»(٤).

وفي هذا الصدد نبين أن تعظيم المساجد وتوقيرها ليس معناه المغالاة والمباهاة ببنائها، فإن من علامات الساعة التي أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بها زخرفة المساجد والتباهي بها قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد**»(٥)، وفي رواية عند النسائي وابن خزيمة أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من أشراط الساعة أن يتباهى الناس في المساجد**»(٦).

---

(١) رواه البخاري برقم [٨٨٣].
(٢) رواه البخاري برقم [٦٣٥]، ومسلم برقم [٦٠٣].
(٣) رواه البخاري برقم [٥٤٥٢]، ومسلم برقم [٥٦٤].
(٤) رواه البخاري برقم [١١٦٣]، ومسلم برقم [٧١٤].
(٥) رواه أحمد في «المسند» (٣/ ١٣٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٧٢٩٨].
(٦) رواه النسائي (٢/ ٣٢)، وابن خزيمة (٢/ ٢٨٢) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٥٧٧١].

obeikandl.com

قال البخاري: أمر عمر ببناء المسجد وقال: أكنّ الناس من المطر وإياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس.

قال أنس: يتباهون بها ثم لا يعمرونها إلا قليلًا، فالتباهي بها العناية بزخرفتها، قال ابن عباس: لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى[١].

وزخرفة المساجد علامة على الترف والإسراف والتبذير وليس هذا هو المقصود بعمارتها إنما عمارتها تكون بالطاعة والذكر والصلاة والاعتكاف وتلاوة القرآن وتعلم الحلال والحرام، وتعلم ما تزكو به النفوس ويزداد به الإيمان إلى غير ذلك من أعمال البر الكثيرة المتنوعة.

قال ابن عقيل: ويكره إزالة الأوساخ في المسجد كتقليم الأظفار وقص الشارب ونتف الإبط.

قال الإمام أحمد: أكره لمن بال أن يمسح ذكره بجدار المسجد[٢]، المساجد بيوت الله وهي خير بقاع الأرض وعمارها خير أهل الأرض وتوقيرها علامة على تقوى القلب لله جَلَّ جَلَالُهُ.

سابعًا- توقير الحجاب:

من شعائر الإسلام الثابتة التي يجب احترامها وتوقيرها والحرص عليها حجاب المرأة المسلمة، وهو علامة على تميُّز المسلمة من بين سائر النساء، وهو رمز للطهر والعفة والحياء، ورمز للفضيلة والنبل والشرف والكرامة وعلماء الأمة كافة متفقون على وجوب ستر المرأة جسدها عن نظر الرجال إليها وفي ذلك مدعاة لسلامة القلوب وطهارتها للرجل والمرأة على السواء وقد حرم الله على المسلمة أن تتبرج وتظهر زينتها

(١) صحيح البخاري كتاب «الصلاة» باب بنيان المسجد.

(٢) «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٤/ ٢٥)، ط. الرسالة.

فقال تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، ولكن الشيطان الرجيم حريص كل الحرص على كشف العورات وإبداء السوءات حتى تقع الفتن وتنتشر الفواحش ثم يتبع الشيطان في ذلك أولياء ينشرون مذهبه ويكافحون من أجل هدم هذه الشعيرة وإزالة ذلك الحجاب عن المرأة المسلمة لتكون سلعة مستباحة تفترسها العيون الخائنة وتتأذى بها النفوس المؤمنة، وتلك سنة إبليسية قديمة حيث قال الله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا ﴾ [الأعراف: ٢٠]، وأريد أن ألفت النظر إلى أنني لا أتحدث الآن عن حكم النقاب هل هو واجب أو مستحب؟ بل أتكلم عن الحجاب باعتباره شعيرة من شعائر الدين سواء قلنا بوجوبه أو استحبابه وإن كان الراجح الوجوب ألا فلينتبه أنني أعني الحجاب الذي أقل أحواله ستر جميع بدن المرأة عدا الوجه والكفين.

أعود فأقول: الحجاب شعيرة عظيمة لا يحارب ولا يستهزأ به ولا ينفر النساء عنه بل يجب أن يحرص عليه وأن ينشر ويوقر، وعلى كل من تعتز بدينها أن تعتز بحجابها إذ إنه من دينها، ليس الحجاب قطعة من قماش يستر بها البدن فحسب بل هو عقيدة وإيمان، وتقوى ودين، والتفريط فيه تفريط في الإيمان، وإهانته إهانة للدين، وإن الناظر في كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجد برهان ذلك واضحًا لا خفاء فيه قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١]، قال الشيخ عبد العزيز بن خلف: يؤخذ من هذا أن الله تعالى حرَّم على المرأة ما يدعو إلى الفتنة

حتى بالحركة والصوت، وهذا غاية في تأديب المسلمة ومبالغة في حفظ كرامتها ودفع الشر عنها، فلو كان شيء أخفى من هذا لذكره جل شأنه توجيهًا للمرأة المسلمة وتعليمًا لها[(١)].

وقال الله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٤١]، قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: باب ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ ثم ساق حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: «**يرحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ شققن مروطهن فاختمرن بها**»[(٢)].

وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان**»[(٣)].

وفي حديث الإفك: «**وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فأتاني فعرفني حين رآني، وكان يراني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرتُ وجهي بجلبابي**»[(٤)].

وفي سنن أبي داود بسند صحيح عن أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنها قالت لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فكيف يصنع النساء بذيولهن؟ قال: «**يرخين شبرًا**» فقالت: إذًا تنكشف أقدامهن قال: «**فيرخينه ذراعًا لا يزدن عليه**»[(٥)].

---

(١) «نظرات في حجاب المرأة المسلمة» ص [٤٥] نقلًا عن «عودة الحجاب» (٣/ ٢٩١)، ط. دار العقيدة.

(٢) رواه البخاري برقم [٤٧٥٨].

(٣) رواه الترمذي برقم [١١٧٣].

(٤) رواه البخاري برقم [٤٧٥٠]، ومسلم برقم [٢٧٧٠].

(٥) رواه أبو داود برقم [٤١١٧]، والترمذي برقم [١٧٣١]، وقال: حسن صحيح وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» [٣٥٨٠]، والشيخ مصطفى العدوي في «رسالة الحجاب» ص [٣٩].

obeikandl.com

وعن أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كنا نغطي وجوهنا من الرجال وكنا نمتشط قبل ذلك في الإحرام[١].

وعن عقبة بن عامر الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إياكم والدخول على النساء**» فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أفرأيت الحمو؟ قال: «**الحمو الموت**»[٢]، قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: فتحذيره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا التحذير البالغ من دخول الرجال على النساء وتعبيره عن دخول القريب على زوجة قريبه باسم الموت دليل صحيح نبوي على أن قوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ عام في جميع النساء كما ترى إذ لو كان حكمه خاصًا بأزواجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما حذر الرجال هذا التحذير البالغ العام من الدخول على النساء، وظاهر الحديث التحذير من الدخول على النساء ولو لم تحصل الخلوة بينهما وهو كذلك فالدخول عليهن والخلوة بهن كلاهما محرم تحريمًا شديدًا بانفراده كما قدمنا أن مسلمًا رَحِمَهُ اللَّهُ أخرج هذا الحديث في باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها فدل على أن كليهما محرم، وقال ابن حجر في فتح الباري في شرح الحديث المذكور «إياكم والدخول» بالنصب على التحذير وهو تنبيه المخاطب على محذور ليتحرز منه كما قيل: إياك والأسد وقوله إياكم مفعول لفعل مضمر تقديره اتقوا.

وتقدير الكلام: اتقوا أنفسكم أن تدخلوا على النساء والنساء أن يدخلن عليكم ووقع في رواية ابن وهب بلفظ «لا تدخلوا على النساء» وتضمن منع الدخول منع الخلوة بها بطريق الأولى[٣].

أيها الإخوة، هذا القبس المختصر جدًا الذي قدمته دليل على اهتمام الإسلام بثبات المرأة المسلمة وعناية الشرع بأن تستر المرأة جسدها ابتغاء وجه الله وتقوى الله جَلَّ جَلَالُهُ،

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٥٤)، وصححه شيخنا العدوي في «رسالة الحجاب» ص [٣٨].

(٢) رواه البخاري برقم [٥٢٣٢]، ومسلم برقم [٢١٧٢].

(٣) «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (٦/ ٥٩٣-٥٩٤) ط. ابن تيمية.

obeikandi.com

لـذا أقول: فتثبـت المرأة على هذه الشـعيرة ولتحذر أن تفرط فيها أو أن يضعف تمسـكها بهـا إن الحجـاب عقيدة وإيـمان، وعبادة وطاعة وقربة من المسـلمة إلى ربها جَلَّجَلَالُهُ، ومهما اشتد الكيد وعظم المكر لزعزعة هذه الشعيرة ومحوها فإنها باقية محفوظة بحفظ الله لدينه وشرعـه وأختـم الحديث عن توقير وتعظيم هذه الشـعيرة العظيمة الكريمة بهذا المشـهد الـذي يذكـره الحافـظ ابن كثـير عليه رحمـة الله في حوادث سـنة ٢٨٦هـ فيقـول: قال في المنتظم: ومن عجائب ما وقع من الحوادث في هذه السنة أن امرأة تقدمت إلى قاضي الري فادعت على زوجها بصداقها خمسمائة دينار فأنكره فجاءت ببينة تشهد لها به فقالوا: نريد أن تسفر لنا عن وجهها حتى نعلم أنها الزوجة أم لا فلما صمموا على ذلك قال الزوج: لا تفعلوا هي صادقة فيما تدعيه، فأقر بما ادعت ليصون زوجته عن النظر إلى وجهها فقالت المـرأة حـين عرفت ذلـك وأنه إنما فعل ليصـون وجهها عن النظر إليـه قالت: هو في حل من صداقي عليه في الدنيا والآخرة زاد الحافظ السـمعاني في الأنسـاب فقال القاضي وقد أعجب بغيرتهما: يكتب هذا في مكارم الأخلاق.

وإلى المسـلمة الحييـة المؤمنة أقـول: اثبتي فـإن الله معك، اثبتي فإنـك مأجورة على ثباتـك وليكن لك في الصالحات من قبلك أسـوة، وإلى كل مسـلم أقـول: لتكن غيرتك على الحجاب من غيرتك على دينك، دافع عنه بكل قوة، أسكت أفواه المرجفين بحجتك القوية فإن الحق معك. لا يحل لمسـلم أن يسـمع أحدًا ينال من الحجاب ويحقر من شـأنه ويسـتهزئ بـه أن يسـكت وكأن الأمـر لا يعنيـه، بل لابد أن يـرد بقـوة وإن لم تكن عنده الحجة فليستدع أهل العلم والفضل ليسكتوا كل سفيه وكل من يبغي العوج والانحراف والعياذ بالله.

ثامنًا- توقير الصحابة:

لقد اختار الله الحكيم العليم لخير رسله خير الأصحاب، اصطفاهم له كما اصطفاه من بين الخلق ليكون خاتم النبيين وإمام المرسلين، وما عرفت الدنيا جيلًا كجيل الصحابة في صدقهم وإخلاصهم وعظمة بذلهم في سبيل الله وإعلاء كلمته، حملوا هذه المهمة العظيمة بكل أمانة وصدق وخرجوا من ديارهم وأموالهم ابتغاء وجه ربهم ونصرة لدينه وثبتوا على نفس النهج بعد وفاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ففتح الله بهم الفتوح ونشر بهم الدين، وعمت الدعوة إلى الله في عصرهم كل الأقطار وبلغ الدين ما بلغ الليل والنهار ورفرفت رايات التوحيد في كل مكان من أرض الله ودخل الناس في دين الله أفواجًا، وكان انتصار الإسلام بعد توفيق الله وفضله ثمرة لجهادهم وعظمة تضحيتهم في سبيل الله، وكان من حقهم علينا حبهم وموالاتهم والاقتداء بهم والترضي عنهم؛ لأنهم هم الذين أوصلوا الدين إلينا، ولهم الفضل بعد الله ورسوله علينا، ولقد شهد لهم ربهم في كتابه الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه شهد لهم بالصدق والإخلاص، ورضي عنهم ووعدهم الجنة فمن من الناس نال ما نالوا وحصل من الفضل ما حصلوا؟!.

ويكفينا ردًا على الروافض المجرمين الذين عميت بصائرهم وانطمست قلوبهم وانحرفت عقولهم وجاء بإفك عظيم وافتراء مبين يناقض ما جاء في كتاب الله المحكم وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يكفينا ردًا عليهم وعلى كل من سلك مسلكهم أن نردد آيات من كتاب ربنا وأحاديث صحيحة ثابتة من سنة نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال الله تعالى: ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٨٨-٨٩].

وقال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وأمر الله رسوله محمدًا ﷺ بمجالستهم وأن يصبر نفسه معهم ثم شهد بإخلاصهم وصدق نواياهم فقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨]، قال الإمام الطبري رحمه الله: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ واصبر يا محمد نفسك مع أصحابك الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي بذكرهم إياه بالتسبيح والتحميد والتهليل والدعاء والأعمال الصالحة من الصلوات المفروضة وغيرها يريدون بفعلهم ذلك وجهه لا يريدون عرضًا من عرض الدنيا(١).

وأثنى الله على أخلاق الصحابة وأعمالهم ورضيها منهم وضرب بها الأمثال قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩]، قال الإمام ابن الجوزي عليه رحمة الله: هذا مثل ضربه الله للنبي ﷺ إذ خرج وحده فأيده بأصحابه كما قوى الطاقة من الزرع بما نبت منها حتى كثرت وغلظت واستحكمت(٢).

والآيات في فضلهم كثيرة وكذلك الأحاديث مستفيضة مشهورة وفيرة، منها ما رواه البخاري ومسلم عن عمران بن الحصين الخزاعي رضي الله عنه قال: «**خير أمتي قرني ثم**

(١) «تفسير الطبري» (٨/ ٢١٣)، ط. دار الكتب العلمية.

(٢) «التبصرة» (١/ ٣٨٥) ط. دار الحديث.

الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»، قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثًا «**ثم إن بعدكم قومًا يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن**»(١).

وروى مسلم في صحيحه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتى ما يوعدون**»(٢).

يقول الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: فحب أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنوان محبته وبغضهم عنوان بغضه كما جاء في الحديث الصحيح: «**حب الأنصار من الإيمان وبغضهم من النفاق**»(٣)، وما ذلك إلا لسابقتهم ومجاهدتهم أعداء الله بين يدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكذلك حب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الإيمان وبغضه من النفاق، وإنما يعرف فضائل الصحابة من تدبر أحوالهم وسيرهم وآثارهم في حياة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعد موته من المسابقة إلى الإيمان والمجاهدة للكفار، ونشر الدين وإظهار شعائر الإسلام، وإعلاء كلمة الله ورسوله وتعليم فرائضه وسننه ولولاهم ما وصل إلينا من الدين أصل ولا فرع ولا علمنا من الفرائض والسنن سنة، ولا فرضًا، ولا علمنا من الأحاديث والأخبار شيئًا، فمن طعن فيهم أو سبهم فقد خرج من الدين ومرق من ملة المسلمين؛ لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساويهم، وإضمار الحقد فيهم، وإنكار ما ذكره الله تعالى من ثنائه عليهم وما لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ثنائه عليهم وفضائلهم ومناقبهم وحبهم لأنهم أرضى الوسائل من المأثور والوسائط من المنقول، والطعن في الوسائط طعن في الأصل،

---

(١) رواه البخاري برقم [٣٦٥٠]، ومسلم برقم [٢٥٣٥].

(٢) رواه مسلم برقم [٢٥٣١]، وأحمد (٤/ ٣٩٨).

(٣) رواه بمعناه البخاري برقم [٣٧٨٤]، ومسلم برقم [٧٤]

والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول هذا ظاهرٌ لمن تدبره وسلم من النفاق ومن الزندقة والإلحاد في عقيدته[١].

الصحابة هم أصلنا ومفخرتنا هم أسوتنا وقدوتنا، هم أصحاب كل وصف جميل وخلق نبيل وأثنى عليهم ربهم في قرآنه المجيد والنبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته المشرفة فمن لم يقنع بقول الله ورسوله فهو المستحق لغضب الله وعقابه، وهو الجدير بالذل والإهانة والذم والعيب، فهيا إخوتي لنكن أوفياء لهذا الجيل العظيم هلم فلننشر فضائلهم ولنقتدي بأخلاقهم وهديهم وعظيم بذلهم وتضحيتهم، تعالوا نعلم أجيالنا الآتية عظمة الصحابة وحب الصحابة والتمسك بهدي الصحابة ونصرة ذلك الحق الذي كانوا عليه ونشر سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي نقلوها إلينا ومن قبلها القرآن العظيم فاللهم ارض عنهم واجزهم عنا خير ما جزيت صالحًا أو مصلحًا.

❁ ❁ ❁

(١) «الكبائر» للذهبي بشرح ابن عثيمين ص [٣٩٥-٣٦٩]، ط. دار الغد.

openkandl.com